

المادة: دويلات المشرق الاسلامي

مدرس المادة: م.د مروان سالم نوري

المرحلة: الثالثة،

جامعة ديالى /كلية التربية الاساسية/ قسم التاريخ.

المحاضرة الرابعة: الامارات العربية والاسلامية في المشرق:

(٣)- الامارة الغزنوية: ٣٥١ - ٥٨٢ هـ:

أخذت الدولة الغزنوية اسمها من مدينة غزنة إحدى المدن في أفغانستان، ويرجع ظهور هذه الدولة إلى أحد القادة المسلمين المسمى «سبكتكين» فقد تولى منطقة غزنة من قبل السامانيين، ثم مد سبكتكين سلطانه في الشرق حيث ضم إقليم خراسان الذي ولاه عليه نوح بن منصور الساماني في سنة ٣٨٤ هـ مكافأة له على قمع الثوار في بلاد النهر، لكن سبكتكين اتجه بأعماله نحو الهند ولم يكن اتجاهه نحو البلاد التي كانت في حوزة السامانيين إلا تلبية لرغبته حين استعانوا به على قمع حركات الخارجين عليهم في خراسان، فقد انضم بقواته إلى نوح بن نصر الساماني في قتال الخارجين في خراسان وفي قتاله للبوهميين الذين رغبوا في الاستيلاء على خراسان من أملاك السامانيين، واستطاع سبكتكين وابنه محمود مع قوات السامانيين الانتصار على هؤلاء الخارجين، كما انتصروا على بني بويه وأعادوا للسامانيين مدينة نيسابور، وبعودة نيسابور إلى السامانيين ولى نوح الساماني ابنه محمود بن سبكتكين عليها، كما ولاه على جيوش خراسان ولقبه بـ «سيف الدولة» ولقب أخاه سبكتكين بـ «ناصر الدولة» وقد ولى سبكتكين منذ أول الأمر وجهه شطر الأقاليم الهندية فتمكن وعظم، وأخذ يُغير على أطراف الهند، وافتتح قلاعاً، وتمت له ملاحم مع الهنود (٦) واشتبك مع أحد ملوكهم - ويدعى جيبال - في حروب طاحنة، واستطاع سبكتكين أن يلحق به الهزيمة سنة ٣٦٩ هـ وأجبره على طلب الصلح على مال يؤديه وبلاد يسلمهما وخمسين فيلاً يحملها إليه، فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد، وسير معه سبكتكين من يتسلمها، فلما أبعد جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضاً عن رهائنه، فلما سمع سبكتكين بذلك ..

سار نحو الهند فأخرب كل ما مر عليه من بلادهم، وقصد «لمغان» وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة، وهد بيوت الأصنام وأقام فيها شعائر الإسلام .. ثم عاد إلى غزنة وسار خلفه جيبال في مائة ألف مقاتل، فلقى سبكتكين وألحق به هزيمة كبيرة وأسر منهم ما لا يعد وغنم أموالهم وأثقالهم، وذل الهنود بعد هذه الموقعة، ولم يكن لهم بعد راية، ورضوا بالأبلا يطلبوا في أقاصي بلادهم، ولما قوى سبكتكين بعد

هذه الموقعة أطاعه الأفغان ، وكانت دولته نحواً من عشرين سنة، وكان فيه عدل وشجاعة ونبيل مع عسف ، وبعد وفاته عام ٣٧٨هـ عهد بالإمرة إلى ابنه إسماعيل، واستطاع ابنه محمود أن ينتزع الإمارة من أخيه إسماعيل بعد قتال مهول .

أ- محمود الغزنوي: من المؤسف حقاً ألا يعرف كثير من المثقفين وخريجي الجامعات شيئاً عن هذا السلطان السني العظيم ومملكته في بلاد الأفغان وما كان عليه من حب للعمل وتقرب إلى الله بحمل راية الدعوة وبث روح الجهاد والاستشهاد في جنده، ونشر السنة، وقمع البدع، وما كان يتحلى به من قيم إسلامية مثلى كان لها أعمق الأثر في ازدهار مملكته والتفاف الناس حوله في محبة وتфан ووفاء .

إن سيرة السلطان محمود الغزنوي ودولته السُّنية تستحق أن تُفرد لها دراسة خاصة بها وندعو طلاب العلم والمهتمين بالتاريخ الإسلامي وفق منهج أهل السنة والجماعة إلى القيام بهذا الواجب لسد ثغرة في المكتبة الإسلامية ويوضح أهمية الالتزام بالسنة وأثر ذلك في قوة الدولة وينسف أكاذيب وشبهات الرافضة والباطنية حول هذا البطل السني العظيم، ومع هذا لا يمنع من الحديث عنه في هذه العجالة، فقد وصفه ابن كثير بالملك العادل الكبير المتأخر ، المرابط المؤيد المنصور المجاهد يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين صاحب بلاد غزنة وتلك الممالك الكبار، وفتح أكثر بلاد الهند قهراً، وكاسر بُدودهم ، وأوثانهم كسراً، وقاهر هنودهم وسلطانهم الأعظم قهراً ، وقد سار في الرعية سيرة عادلة وقام بأعباء الإسلام قياماً تاماً، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها، وعظم شأنه في العالمين، واتسعت مملكته وامتدت رعاياه وطالت أيامه، والله الحمد والمنة، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة العباسي القادر بالله، وكانت رسل الفاطميين من الديار المصرية تَفِدُ إليه بالكتب والهدايا والتحف فيحرق كتبهم ويُخرِّق حللهم ، ولما قدم التاهرتي الداعي مندوب الدعوة الفاطمية من مصر على السلطان يدعوه سراً إلى مذهب الباطنية، وكان التاهرتي يركب بغلاً يتلون كل ساعة من كل لون، ففهم السلطان محمود سِرَّ دعوتهم، فغضب، وقتل لتَّاهرتي الخبيث، وأهدى بغله إلى القاضي أبي منصور محمد الأزدي شيخ هراة، وقال: كان يركبه رأس الملحدين، فليركبه رأس المُوحِّدين .

وأما فتوحاته فقد اتفقت له في بلاد الهند فتوحات لم تتفق لغيره من الملوك، لا قبله ولا بعده، وغنم مغانم كثيرة لا تنحصر ولا تنضب كثرة من الذهب والالآئى والسَّبِي، وكسر من أصنامهم وأبدادهم وأوثانهم شيئاً كثيراً جداً، بيَّض الله وجهه وأكرم مثواه، وكان من جملة ما كسر من أصنامهم صنم عظيم للهنود يقال له سُوَمَنات ، الذي كان يعتقد كفرة الهند أنه يحيى ويُميت ويحُجُّونه، ويقربون له النفائس، بحيث إن الوقوف عليه بلغت عشرة آلاف قرية، وامتألت خزائنه من صنوف الأموال، وفي خدمته من البراهمة ألفا نفس، ومائة جوقة مغاني رجال ونساء، فكان بين بلاد الإسلام وبين قلعة هذا الصنم مفازة نحو شهر، فسار السلطان في ثلاثين ألفاً، فیسَّر الله فتح القلعة في ثلاثة أيام، واستولى محمود على أموال لا تحصى

، بلغ ما تحصل منه من الذهب عشرين ألف دينار، وكسر ملك الهند الكبير الذي يقال له «جيبال» . وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له: إيلك خان، وأباد ملك السامانية، وقد ملكوا بخراسان مائة سنة بلاد سمرقند وما حولها، ثم هلكوا، وبنى على جيحون جسراً غرم عليه ألفي دينار، وهذا شيء لم يتفق لغيره من الملوك، وكان معه في جيشه أربعمئة فيل تقاتل، وهذه أمور هائلة ومرتبة طائلة، وجرت له فصول ذكر تفصيلها يطول، وكان في غاية الديانة والصيانة، يحب العلماء والمحدثين ويكرمهم ويجالسهم ويحسن إليهم، وكان حنفي المذهب، ثم صار شافعيّاً على أيدي أبي بكر القفال الصغير ، وكان صادق النية في إعلاء الدين، مظفراً كثير الغزو، وكان ذكياً بعيد الغور صائب الرأي، دخل ابن فورك على السلطان محمود، فقال: لا يجوز أن يوصف الله بالفوقية لأنّ لازم ذلك وصفه بالتحية، فمن جاز له أن يكون له فوق، جاز أن يكون له تحت .

فقال السلطان: ما أنا وصفته حتى يلزمني، بل هو وصف نفسه، فبهت ابن فورك، فلما خرج من عنده مات، وكان السلطان محمود مُكرماً لأمرائه وأصحابه، وإذا نقم عاجل، وكان لا يفتر ولا يكاد يقَرُّ، وكان يعتقد في الخليفة العباسي ويخضع لجلاله ويحمل إليه قناطير الذهب، وكان إلباً على القرامطة والإسماعيلية وعلى المتكلمين، وعندما ملك الري كتب إلى الخليفة القادر بالله يذكر أنه وجد لمجد الدولة البويهية من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة ولدن له نيفاً وثلاثين ولداً، ولما سئل عن ذلك قال: هذه عادة سلفي، وصلب من أصحاب الباطنيين خلقاً كثيراً، ونفى المعتزلة إلى خراسان أحرق كتب الفلسفة والنجوم .

ب- الصراع الغزنوي السلجوقي: تمكن السلطان محمود الغزنوي من توسيع حدود دولته فغزا الهند سبع عشرة غزوة ووصلت حملاته إلى هضبة الدكن وضم إلى دولته كذلك إقليم البنجاب وأخضع بلاد الغزنويين «غزنة وهراة» ومدّ نفوذه إلى بلاد ما وراء النهر ، وبذلك أصبحت حدود دولته تمتد من شمال الهند في الشرق إلى العراق في الغرب، ومن خراسان وطخارستان وجزء من بلاد ما وراء النهر في الشمال إلى سجستان في الجنوب، وقد اتخذ من مدينة لاهور مقراً لحكمه في الهند حيث عين نائباً له هناك ، فلا غرابة في أن أخذ يرنو إلى القضاء على البويهيين في بغداد (٤)، وكانت قوة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر قد تعاظمت في بداية القرن الخامس الهجري مما أثار حفيظة السلطان محمود الغزنوي فقام في سنة ٤١٥ هـ بعبور نهر جيحون لمقاتلتهم، فنجح في القبض على زعيمهم أرسلان وولده قتلّمش وعدد من كبار أصحابه وبعث بأرسلان إلى الهند حيث مات في السجن بعد أن قضى فيه سبع سنوات ، وبعد أربع سنوات ٤١٩ هـ خرج السلطان محمود لقتال السلاجقة مرة أخرى بناء على التماس سكان مدينتي (نسا) و «باورد» فأنزل بهم هزيمة ساحقة .

ج- معركة دندانقان وقيام السلطنة السلجوقية: لقد ظل السلاجقة بعد الهزيمة يتحينون الفرص للتأثر من الغزنويين فكان لهم ذلك بعد وفاة السلطان محمود وقيام ابنه مسعود بمهام السلطنة عام ٤٢١هـ، حيث تمكنوا من الانتصار على جيوشه ، لكنهم اتصلوا به وعرضوا عليه الصلح والدخول في طاعته فاستجاب لهم ومنح زعماءهم الولايات وأسبغ عليهم الألقاب وأغدق عليهم الخلع، وعلى الرغم من ذلك فقد كان الغزنويون يدركون مدى الخطر الذي كان يشكله السلاجقة عليهم؛ لذلك فقد أمر السلطان مسعود عامه على خراسان سنة ٤٢٩هـ بقتال السلاجقة فدارت الحرب بين الطرفين قرب مدينة سرخس وقد انتهت دولتهم حيث اندفعوا بعدها بقيادة زعيمهم ظفر بك نحو نيسابور التي دخلها وأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوي في السنة نفسها ٤٢٩هـ، وكان من نتيجة ذلك أن زحف مسعود بجيوشه نحو خراسان واشتبك مع السلاجقة بمعركة حاسمة في مكان يعرف باسم دَندَانقان، انتهت بهزيمة الغزنويين وكان ذلك عام ٤٣١هـ، لم يلبث السلطان مسعود أن لقي مصرعه عام ٤٣٢هـ، فخلفه ابنه مودود، وقد أصبح السلاجقة بعد معركة دَندَانقان أكبر قوة في خراسان في حين كان الغزنويون قد ضعفوا بعد أن فقدوا غالبية جيوشهم وخسروا العديد من ممتلكاتهم، واستطاع الغزنويون في أفغانستان الاستيلاء على أملاكهم في الهند سنة ٥٨٢هـ .

د- نتائج معركة دندانقان:

* وضعت معركة دندانقان حداً نهائياً لحكم الغزنويين في خراسان، ونصّب طغرل بك التخت في مكان المعركة وجلس عليه، وجاء الأعيان يسلمون عليه بإمارة خراسان.

* حرّر طغرل بك الرسائل على الأمراء المجاورين لإعلامهم بخبر الانتصار.

* طاردت القوات السلجوقية القوات الغزنوية المنهزمة حتى شواطئ نهر جيحون بهدف قسرهم على الهرب إلى ما وراء النهر، حتى يقدموا برهاناً ملموساً على النصر.

* أتاحت المعركة قيام سلطنة إسلامية جديدة، وانحسار ظل واحدة، كما تُعدُّ إحدى المعارك الكبرى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، بل إن نتائجها تعدت العالم الإسلامي وأثرت على عالم العصور الوسطى .

* أعرب مسعود من ناحيته في رسالة أرسلها إلى القراخانيين عن ثقته في قيامهم بمساعدته في حملته المقبلة لاستئصال شأفة السلاجقة، غير أن صدمة الخسارة قد أذهلته لدرجة فقد معها الرغبة في المقاومة، فخيّل إليه أنه لا بد من ترك ليس بلخ وتوابعها بل وغزنة أيضاً، على الرغم من محاولات أركان حربيه وكبار رجال دولته إقناعه بانتفاء أسس هذه المخاوف وقرر الانسحاب نهائياً إلى الهند .

* اقتسمت العشائر السلجوقية، بعد الانتصار، الأراضي التي استولوا عليها، فكان نصيب جفري مدينة مرو، فاستقر بها واتخذ منها عاصمة لملكه، كما ملك أكثر خراسان، وكان نصيب أبي علي الحسن بن موسى، ولاية بُست وهرارة ، وسجستان ، وما يجاور ذلك من لنواحي. وأخذ قاورد أكبر أبناء جفري، ولاية

الطبس ، ونواحي كرمان ، وحصل إبراهيم بن ينال على همذان ، كما حصل ياقوتي على أبهر ، وزنجان ، ونواحي أذربيجان، وكان من نصيب قُتلمش بن إسرائيل جرجان ودامغان ، والواقع أن فكرة التقسيم هذه تتعارض مع الفكرة الإيرانية عن الملك بوصفه صاحب السلطة المطلقة في الدولة، وهي غريبة على السلاجقة الأوائل إلا أن المسؤولين السلاجقة هدفوا من وراء ذلك إلى إحاطة السلطنة الغزنوية ومنعها من محاولة استعادة خراسان ثم تأمين فتح طريق جيحون من أجل قدوم مهاجرين غز جدد

المصادر:

- (١) ابن الاثير،الكامل في التاريخ، نقلاً عن: أيعيد التاريخ نفسه؟، ص ٦٦.
- (٢) الحسين أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٥١٣.
- (٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (٥ / ٥٠) ، الدولة السلجوقية منذ قيامها، ص ٢٤.
- (٤) ابن كثير: البداية والنهاية (١٥ / ٦٣٤).
- (٥)الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٧ / ٤٨٥).